الفصل الثالث:
علم النفس في الحياة العسكرية

(٣-١) الحياة العسكرية

(٣-٢) الإنضباط كمحور أساسى لبناء الشخصية العسكرية

(٣-٣) مجالات إستخدام علم النفس فى القوات المسلحة

obeikandl.com

الحياة العسكرية

الحياة العسكرية حياة إجتماعية ذات طابع خاص يختلف إلى حد كبير عن طابع الحياة المدنية. ويمكننا تبين طبيعة هذه الحياة بفهمنا لطبيعة المجتمع العسكرى وبنائه. وتلك الطبيعة التى يستمدها من مقتضيات وظيفته العامة وما يندرج تحتها من وظائف جزئية فكل مجتمع يتكون من مجموعة من المنظمات الاجتماعية "Social organizations" تؤدى أنواعا مختلفة من النشاط ينشأ عنها ثبات كيان المجتمع وإستمراره فى البقاء.

والقوات المسلحة منظمة من هذه المنظمات تقوم بالعمليات الدفاعية عن الوطن وتحقيق مصالحه بالعمليات والخطط العسكرية المختلفة (أحمد إبراهيم خضر - ١٩٨٠-٤١).

والمهنة العسكرية "Profession of arms" شأنها شأن المهن الأخرى تتميز بأن أفرادها يشكلون جماعة قد تخصص أفرادها فى الفنون العسكرية واتخذوا هذا التخصص كمحور لحياتهم سياقا مهنيا كاملا وليس لبعض الوقت أو على سبيل التعاقد.

وأعضاء المهنة العسكرية فقط هم الذين تطبق عليهم أنظمة التجنيد ويمرون بتنشئة مهنية معينة وبحراك مهنى معين. والمهنيون العسكريون ليسوا مجرد متخصصين فى الشئون العسكرية، بل هم أفراد ذوى معايير سلوكية معينة وتمثل أيديولوجيتهم العسكرية ثقافة فرعية خاصة تؤدى مساهمتهم فيها إلى تكون منظور مميز وسلسلة من الاتجاهات تعرف بالعقلية العسكرية "Military mind". وترتبط العناصر المختلفة بهذا المنظور بطبيعة الخدمة والخبرة العسكرية والوسط الاجتماعى الذى يؤدون فيه واجباتهم. كما أن التنظيم العسكرى "Military organization" كمصطلح سوسيولوجى يعنى قبول العنف المنظم "Organized violence" كوسيلة شرعية لتحقيق أهداف إجتماعية.

وعلى هذا فإن التنظيمات العسكرية هى أبنية تعمل على تنسيق أنشطتها لتضمن النصر فى ميدان القتال. وتأخذ هذه الأبنية شكل مؤسسات دائمة يحافظ عليها فى وقت السلم لطوارئ الصراع المسلح ويديرها عسكريون محترفون.

وتعتبر القوات المسلحة وخاصة الحديثة منها تنظيمات معقدة لها حدود واضحة ويمكن أن تدرس كوحدة داخل النسق الاجمالى الكلى (أحمد إبراهيم خضر - ١٩٨٠-٤٣).

ومن ثم فهناك بعض الخصائص التى تميز بناء المنظمة العسكرية عن غيرها من المنظمات المدنية الأخرى، نوجزها فيما يلى:

١- أنها منظمة مسيطرة "Authoritative" تتطلب من أعضائها طاعة شبه مطلقة.

٢- وجود التمايز الرسمى الشديد بين مختلف الرتب بحيث يمكن إعتبارها منظمة ذات نظام طبقى متشدد تتحدد طبقاته هرميا بواسطة فواصل الرتب. ويترتب على ذلك تحديد دقيق للواجبات والحقوق والوظائف.

٣- وجود التقاليد والأنظمة العسكرية التى تختلف فى الغالب عن تقاليد معظم المنظمات المدنية والتى تتجه إلى تحديد فردية العضو وعدم السماح لها بالانطلاق حسب طبيعتها ويترتب عليها نوع من السلوك هو السلوك العسكرى (أحمد إبراهيم خضر - ١٩٨٠-٤٢).

وليس هناك شك أن مفهوم الانضباط "Discipline" داخل التنظيمات العسكرية يبدو بشكل مكثف وأكثر وضوحا عن غيرها من التنظيمات الأخرى داخل المجتمع. ولذلك تتصف الحياة العسكرية أكثر ماتتصف بالانضباط حيث يعتبر القاعدة الأساسية وحجر الزاوية فى بناء الشخصية العسكرية بكل مقوماتها. ولذا فقد رأى الباحث أن يتناول مفهوم الانضباط بشكل مختصر.

obeikandi.com

الانضباط كمحور أساسى لبناء الشخصية العسكرية

وردت كلمة إنضباط فى قاموس ويبستر "Webster Dictionary" (١٩٨٠) تحت ثلاثة معانى أساسية. **الأول** منها يعرف الانضباط بأنه مجموعة القواعد التى يتم التدريب عليها بحيث تؤدى إلى أنماط وقوالب سلوكية صحيحة وقوية أو مثالية. فى حين كان المعنى **الثانى** هو تحقيق السيطرة على الأفراد وذلك بتقوية طاعتهم وإمتثالهم والتأكيد عليها. أما المعنى **الثالث** فيشير إلى إستخدام أسلوب العقاب والتأديب لمن يخرج عنها.

ويرى بيتش "Beach" (١٩٨٠) أنه إذا مازاوجنا بين المعنيين الأول والثانى أصبح لدينا مدخل إيجابى لمعنى الانضباط حيث أنه يشتمل على الأنماط السلوكية التى تسمح بمنح المكافآت أو توقيع الجزاء. أما المعنى الثالث فهو ضيق للغاية حيث أنه يتعلق فقط بمعاقبة المخطئين. ولذا فقد أطلق عليه المدخل السلبى (Beach, ١٩٨٠- ٥٢٢).

ويؤكد بيتش "Beach" (١٩٨٠) أنه يتعين على جميع القيادات والادارات خلق وإيجاد المدخل الايجابى للانضباط بين المرءوسين. وفى رأيه أن للانضباط الايجابى مفهوم أساسى وهو أكثر شمولا وأعمق فى معناه من مجرد الكلمات التى جاء ذكرها بالقاموس حيث أن هذا المفهوم يعنى خلق وإبتكار مناخ تنظيمى بحيث يسمح من خلاله أن تتحقق رغبة المرءوسين الأكيدة فى إقامة القواعد والنظم. ومما يساعد على خلق هذا النوع من الانضباط إهتمام الادارة بأساسيات الدوافع الايجابية لدى

المرءوسين وتوفير عنصر الاشراف على تعليمات الادارة بالاضافة إلى توفير إدارة داخلية للتنظيم تتسم بالكفاءة.

أما المدخل الثانى عند بيتش لمفهوم الانضباط هو المدخل السلبى حيث تكون فيه طاعة الأوامر وتنفيذ التعليمات من المرءوسين قائمة على أسلوب توقيع العقوبات والجزاءات. وتكون الحياة داخل هذا النوع من التنظيمات وفق القواعد المحددة للعمل وغالبا ماتطبق بالقوة. وقد مارس هذا النوع من الانضباط قباطنة أعالى البحار منذ عصر النهضة. كما يستخدم داخل تنظيمات القوات المسلحة فى جميع أنحاء العالم (محمود السيد أبو النيل- ١٩٨٤-٩).

ومما سبق يمكن تعريف الحياة العسكرية بأنها "*حياة إجتماعية ذات طبيعة خاصة تختلف إلى حد كبير عن طبيعة الحياة المدنية وذلك بما تتصف به من نظام طبقى صارم له تقاليده الخاصة ويتطلب من أعضائها طاعة شبه مطلقة*". وتقوم الحياة العسكرية على مفهوم أساسى هو الانضباط. ولذا فقد أنشئت الكليات العسكرية وهى المسئولة عن إعداد وتأهيل وصقل الخامات من الطلبة ووضعهم فى القالب الذى يؤهلهم ليكونوا ضباط ناجحين وقادة بارزين فى المستقبل يتسمون بسمات شخصية أبرزها:

١- الانضباط الذاتى:

يجب أن يتسم الضباط بالانضباط الذاتى حيث أن هذا الضابط سيكون مسئولا عن أفراد ومعدات وتحقيق مهام دون رقيب غير الله، كما يجب أن يكون قدوة حسنة لمرءوسيه ويتمتع بحسن الخلق، يطيع الأوامر وينفذها بفهم ووعى، ويملك القدرة على العمل والتصرف فى أقصى الضغوط البدنية والذهنية. وتعتبر هذه السمات من السمات الهامة للرجل العسكرى المثالى.

٢- اللياقة الجسمية:

والتى تعنى القدرة على التحمل الفسيولوجى - وهى قدرة الجهاز الدورى التنفسى بالاضافة إلى الجهاز العضلى على أداء الأعمال التى تتطلب مجهود جسمى كبير.

٣- اللياقة الذهنية العالية:

والتى تعنى القدرة على الانضباط الفكرى. أى أن يكون قادرا على التفكير والتركيز وإتخاذ القرار السليم فى الوقت المناسب وتحت الظروف المرهقة الصعبة. والتميز بالانضباط الفكرى وهو أن يكون الفرد قادرا على تحليل المعلومات ومقارنتها بما لديه من بيانات وخبرات وإتخاذ القرار السليم والبدائل المختلفة لهذا القرار فى الوقت المناسب. وهذا يحتاج إلى قدرة عقلية متميزة قادرة على التركيز والتحليل. والفرد الذى يتميز بالانضباط الفكرى يكون قادرا على التحكم فى الذهن وعدم شروده وكبح جماح الأفكار والامساك بالمشكلة الأساسية وقادرا على الترتيب الذهنى وعرض أفكاره بتسلسل وقادر على إستخلاص النتائج التى تساعد على إتخاذ القرار السليم فى الوقت المناسب.

٤- سمات شخصية وجدانية سوية:

من أهمها الاتزان الانفعالى والانضباط والجرأة والنشاط والحيوية العامة والرجولة... إلخ. والقيادة الحالية للقوات المسلحة أدركت أهمية موضوع إستخدام وسائل علم النفس فى عمليات الانتقاء لجميع أفراد القوات المسلحة. ولذا فقد قامت بإجراء الدراسات النفسية اللازمة لتحديد أهم السمات الشخصية لضباط المستقبل حيث أنه يجب أن يتصف بسمات شخصية - بدنية - وعقلية و إنفعالية تؤهله لأن يكون ضابطا ناجحا فى المستقبل.

opeikan.com

ولقد تعرض عثمان نجاتى فى كتابه لضرورة إجراء إختبارات نفسية لتقدير شخصيات المتقدمين للجيش والتنبؤ بما قد يصدر عنهم. وليس ذلك قاصرا على قياس قدرات الأفراد فى الظروف العادية (محمد عثمان نجاتى ١٩٦١-٧٥). فالناس يختلفون إختلافا كبيرا فى مقدرتهم على حسن التصرف تحت عوامل السرعة والخطر بين رابط الجأش وفاقد الصواب. ووجود فاقدى الصواب فى أى جماعة يضر بمعنوياتهم ويخل بنظامها ويعطل كفاءتها. لذلك وجب إستبعاد هؤلاء عن طريق إجراء الاختبارات الدقيقة لمعرفة شخصياتهم والتنبؤ بسلوكهم وماقد يصدر عنهم فى أوقات الأزمات. وقد أوضح عثمان نجاتى فى نفس الكتاب الخصائص التى يجب أن يتميز بها من يتقلدون وظائف الضباط. وهم من يتوقف على قراراتهم فى المواقف المختلفة مصائر الآخرين وماتلك إلا صفات التوافق والايجابية فى المقام الأول.

obeikandl.com

مجالات استخدام علم النفس فى القوات المسلحة

لقد إستخدمت جيوش الدول المتقدمة منذ زمن طويل وسائل وأساليب علم النفس ونتائج بحوثه إلى جانب نتائج بحوث العلوم الأخرى فى تنظيم وإدارة قواتها المسلحة لكى يمكنها تحقيق الأهداف بأقل جهد ووقت ممكن وتحقيق النصر بأقل الخسائر الممكنة.

ويشكل علم النفس الجانب الانسانى للأبعاد الفنية والادارية لأى مؤسسة أو منشأة مدنية أو عسكرية. ولقد تأكد منذ زمن بعيد أن نجاح هذه المؤسسات والمنشآت فى تحقيق أهدافها لايتم بتوافر الامكانيات الفنية والمالية والبشرية وحدها وإنما يحتاج هذا إلى معرفة عملية منظمة لطرق إستثمار الثروة البشرية والاستخدام الأمثل لها، وهى المهمة الرئيسية التى يقوم بها علم النفس.

وعلم النفس هو أحد العناصر الهامة الذى يستخدم لتوجيه المسئولين فى المنشآت والمؤسسات مدنية كانت أم عسكرية إلى إستخدام القوى البشرية أحسن إستخدام.

وعلم النفس يمتلك من الوسائل والأساليب التى تستخدم لترشيد وإستثمار القوى البشرية أحسن إستثمار. ونذكر فيما يلى بعضا من هذه الوسائل على سبيل المثال وليس الحصر.

مجال الانتقاء والتوجيه المهنى للعسكريين:

تستخدم الاختبارات النفسية لانتقاء وتوجيه الأفراد إلى الوظائف المناسبة والتى تناسب خصائصهم النفسية والبدنية. وعلى سبيل المثال عندما نشبت الحرب العالمية الأولى كانت أمريكا أول من فكر فى إستخدام الاختبارات النفسية فى إنتقاء وتوجيه الجنود إلى الأسلحة التى تناسب إستعداداتهم وقدراتهم العقلية وسماتهم الشخصية. وصمم علماء النفس لهذا الغرض مجموعتين من الاختبارات النفسية. المجموعة الأولى منها (**المجموعة ألفا**) للجنود الذين يجيدون قراءة وكتابة الانجليزية. والمجموعة الثانية (**إختبارات بيتا**) للجنود الأميين والأجانب غير المتحدثين باللغة الانجليزية.

مجال الحرب النفسية:

يوجد فى علم النفس وسائل وأساليب لقياس الروح المعنوية للجنود وذلك لتدعيمها أو لتقليل العوامل التى تعمل على إضعافها. كما توجد وسائل لقيادة وتوجيه الحرب النفسية.

مجال إختيار وإعداد القادة:

حيث أن السمات القيادية تتوافر فى الأشخاص منذ السن المبكرة فإن علم النفس يمتلك من الوسائل التى تستخدم للتنبؤ بنجاح الضباط كقادة منذ دخولهم الكليات العسكرية كما يسهم فى إعداد البرامج التى تؤهلهم للقيادة فى مجالات ومواقف معينة وخلال مراحل المعارك التى تحتاج إلى سمات خاصة.

مجال الخدمات النفسية والاجتماعية:

ويختص به فرع من فروع علم النفس يستخدم لاكتشاف وعلاج الأفراد الذين عندهم الاستعداد للانهيار العصبى تحت الضغوط النفسية والبدنية. ففى الحرب العالمية

الأولى إتجهت بريطانيا إلى إستخدام علم النفس فى تطبيق القياس النفسى لاستبعاد غير اللائقين نفسيا من العمل فى الجيوش وإستبعاد الجنود والضباط الذين لديهم إستعداد للانهيار العصبى وسحبهم وعدم دفعهم إلى الخطوط الأمامية.

مجال التدريب:

يمتلك علم النفس وسائل الاعداد لبرامج التدريب العسكرى على أسس علمية وذلك بإستخدام أنسب نظريات التعليم لكل موضوع من الموضوعات العسكرية وإختيار وتصميم أنسب الوسائل التعليمية وتأهيل الكوادر من العسكريين الذين يعملون فى حقل التدريس والتدريب بالكليات والمعاهد والمدارس العسكرية وكذا مراكز التدريب للأسلحة المختلفة.

مجال العمليات الحربية:

تستخدم الدول المتقدمة إختبارات الشخصية لقياس أهم السمات الشخصية التى يتميز بها الأفراد وتعتبر كمصدر للحصول على معلومات لاتخاذ القرارات الملائمة لتوكيل المهام وإلقاء التبعات على هؤلاء الأفراد.

مجال فن القيادة:

علم النفس يقدم للقادة أنسب الأساليب لادارة وقيادة وحداتهم حيث أنه يجب على القادة أن يكونوا ملمين بمبادئ علم النفس على الأقل حتى يمكنهم فهم طبائع ودوافع جنودهم وسلوكهم فى مواقف معينة ويتنبأوا مسبقا بهذا السلوك وعليه فيمكنهم إتخاذ القرار السليم والمناسب.

ومما سبق يتضح أهمية مجالات علم النفس فى الحياة العسكرية. وفى الفصل التالى سيعرض الباحث لأهم الدراسات النفسية فى المجال العسكرى.

obeikandl.com